قصة
ناپوليون




فارِسٌ يَلبَسُ دِرْعًا
رَمّاحٌ
مُسَدَّس لِلفُرسانِ
ضُبّاطٌ
خَيّالةٌ
عَريفٌ مِن المُشاة
ضابِطٌ مِدفَعِيٌّ
مِدفَعِيٌّ
سَيفُ جُندِيٍّ خَيّالٍ
بُندُقِيّةٌ
غِمْدٌ
حَربةٌ

كانَ نابوليون بونابَرْت واحِدًا مِنْ أَعْظَمِ الجُنُودِ الّذينَ عَرَفَهُمُ العالَمُ . اِنْتَصرَ عَلَى أُوروبّا الغَرْبِيَّةِ كُلِّها ، ولولا حُنْكَةُ القائِدَيْنِ الإنْكليزِيَّيْنِ نِلْسُون وَ وِلِنْجتُون لاَنْتَصرَ عَلَى بريطانيا العُظْمى .

وهٰذِهِ هِيَ قِصَّتُهُ :

طُبِع في انكلترا © الطبعة الأولى ١٩٧٤

قصة
نابوليون

سلسلة ليديبرد "في المغامرات التاريخية"

تأليف : ل. دوغارد بيتش
نقلها الى العربية : محمد العدناني
وضع الرسوم : جون كيني



الناشرون:

مكتبة لبنان
بيروت

ليديبرد بوك ليمتد
لافبورو

لونغمان
هارلو



نابوليون بونابرت

كانَ نابوليونُ بونابَرْتُ أَحَدَ أَعْظَمِ قائِدَيْنِ عَرَفَهُما العالَمُ . وكانَ ثانِيهِما الإِسْكَنْدَرُ الأَكْبَرُ ، الَّذي ماتَ قَبْلَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ عامٍ مِنْ وِلادَةِ نابوليونَ ، والَّذي قَدْ تَقْرَأُ عَنْهُ في كِتابٍ آخَرَ مِنْ هٰذِهِ السِّلْسِلَةِ . ونابوليونُ – إِضافَةً إِلَى أَنَّهُ قائِدٌ عَظيمٌ – قَدْ سَنَّ قَوانينَ ، لا تَزالُ فَرَنْسا تُحْكَمُ بِها إِلَى الآنَ .

كانَ نابوليونُ أَعْظَمَ طاقَةً ، وأَكْثَرَ ذَكاءً ، وأَسْمَى عَقْلًا مِنْ أَيِّ رَجُلٍ في أُورُوبّا . وكانَ أَيْضًا قادِرًا عَلَى العَمَلِ عِشْرينَ ساعَةً في اليَوْمِ ، مُكْتَفِيًا بِالنَّوْمِ أَرْبَعَ ساعاتٍ فَقَطْ .

فَهٰذِهِ الصِّفاتُ الفَذَّةُ كُلُّها ، مُضافَةً إِلَيْها قُدْرَتُهُ عَلَى اتِّخاذِ قَرارٍ فَوْرِيٍّ صائِبٍ عَمّا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ في المَعْرَكَةِ ، أَوْ في قاعَةِ المَجْلِسِ التَّشْريعِيِّ ، مَكَّنَتْ هٰذا الصَّبِيَّ الكورسيكِيَّ الفَقيرَ مِنْ أَنْ يُصْبِحَ إِمْبراطورَ فَرَنْسا وسَيِّدَ أُوروبا ، وهُوَ في الخامِسَةِ والثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِهِ .

أَصْبَحَتْ جَزيرَةُ كورسيكا جُزْءًا مِنْ فَرَنْسا عامَ ١٧٦٨ ، وفي العامِ الَّذي تَلاهُ رُزِقَ شارْلُ ولِتيزيا بونابَرْتَ ٱبْنَهُما الثّانِيَ ، الَّذي أَطْلَقا عَلَيْهِ ٱسْمَ نابوليونِهْ . فَهٰذِهِ الأَسْماءُ إِيطالِيَّةٌ ؛ لِأَنَّ كورسيكا كانَتْ سابِقًا تابِعَةً لِإِيطاليا . ثُمَّ غَيَّرَ نابوليونُ الأَسْمَ الإِيطالِيَّ إِلَى الأَسْمِ الفَرَنْسِيِّ ، الَّذي يُعْرَفُ بِهِ الآنَ ، والَّذي سَيَظَلُّ مَعْروفًا بِهِ في التّاريخِ .



لا نَعْرِفُ إِلّا شَيْئًا قَلِيلًا جِدًّا عَنْ طُفُولَةِ نابوليونَ . وكورسيكا جَزِيرَةٌ صَغِيرَةٌ ، مُعْظَمُ سُكّانِها فَلّاحُونَ أُمِّيُّونَ ، كانُوا ثائِرِينَ عَلَى الفَرَنْسِيِّينَ أَسْيادِهِمُ الجُدُدِ . وَاشْتَرَكَ والِدُ نابوليونَ ، ثُمَّ نابوليونُ نَفْسُهُ في ثَوْرَةٍ لَمْ تَنْجَحْ . وقَدِ اضْطُرّا إِلَى مُغادَرَةِ الجَزِيرَةِ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ .

كانَ شارْلُ بونابَرْتُ يَنْتَمِي إِلَى أُسْرَةٍ مُنْحَدِرَةٍ مِنْ أُسْرَةٍ نَبِيلَــةٍ مِنْ تُوسكانيا الإِيطالِيَّةِ . وقَدْ ساعَدَهُ الكونْتُ ماربوفُ ، صَدِيقُ الأُسْرَةِ ، في الحُصُولِ عَلَى مِنْحَةٍ ، يُخَوِّلُ بِها نابوليونُ الصَّغِيرُ دُخُولَ المَدْرَسَةِ الحَرْبِيَّةِ في بْرِيينَ بِفَرَنْسا .

لَمْ يَجِدِ السَّعادَةَ التّــامَّةَ في المَدْرَسَةِ . وقَدْ وُصِفَ بِأَنَّهُ دائِمُ الاكْتِئابِ ، وغَيْرُ ماهِرٍ في الأَلْعابِ . وعَدا ذٰلِكَ ، كانَ يَلْفُظُ اللُّغَةَ الفَرَنْسِيَّةَ بِلَهْجَةٍ كورسِيكِيَّةٍ قَوِيَّةٍ ، وكانَ أَبْناءُ الأُسَرِ الفَرَنْسِيَّةِ يَحْتَقِرُونَهُ ؛ لِأَنَّهُ كــانَ فَقِيرًا .

لَمْ يَكُنْ نابوليونُ تِلْمِيذًا بارِعًا . كانَ قَوِيًّا في الرِّياضِيّاتِ ، ومُحِبًّا لِلتّارِيخِ والجُغْرافِيَةِ . ولٰكِنَّهُ كانَ ذا ذاكِرَةٍ عَجِيبَةٍ ، وظَلَّ طُولَ حَياتِهِ قادِرًا عَلَى أَنْ يَتَذَكَّرَ كُلَّ شَيْءٍ قَرَأَهُ أَوْ سَمِعَهُ . أَمّا في وَضْعِ تَصــامِيمَ لِلْحُصُونِ ، أَوِ التَّخْطِيطِ لِتَمْرِيناتٍ عَسْكَرِيَّةٍ ، فَقَدْ كانَ مُتَفَوِّقًا جِدًّا عَلَى جَمِيعِ الطُّلّابِ الآخَرِينَ .



ولما كانَ نابوليونُ قَوِيًّا جِدًّا في الرِّياضِيّاتِ ، أُرْسِلَ إلَى مَدْرَسَةِ المِدْفَعِيَّةِ في باريسَ ، حَيْثُ قالَ عَنْهُ مُعَلِّمُ الرِّياضِيّاتِ إنَّهُ كانَ واحِدًا مِنْ أَذْكَى الطُّلّابِ الّذينَ دَرَّسَهُمْ في حَياتِهِ . ولكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّفَوُّقَ في أَيَّةِ مادَّةٍ أُخْرَى .

عُيِّنَ مُلازِمًا ثانِيًا في كَتيبَةِ المِدْفَعِيَّةِ « لافيرَ » ، فكانَتْ تِلْكَ بِدايَةَ حَياتِهِ العَسْكَرِيَّةِ الرّائِعَةِ ، الّتي كانَ فيها أَعْظَمَ قائِدٍ عَسْكَرِيٍّ في عَصْرِهِ .

عِنْدَما حَلَّتِ السَّنَةُ الميلادِيَّةُ ١٧٨٥ ، كانَ نابوليونُ في السّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ . ولَمْ تَكُنِ المَدافِعُ آنَذاكَ دَقيقَةً في إِصابَةِ الأَهْدافِ ، وبَعيدَةَ المَدَى كَمَدافِعِ اليَوْمِ . كانَتْ تِلْكَ المَدافِعُ تُطْلِقُ كُراتٍ صُلْبَةً ، أَوْ كُراتٍ حَديدِيَّةً صَغيرَةً مَحْشُوَّةً في قَذيفَةِ مِدْفَعٍ واحِدَةٍ . وكانَتْ شَبيهَةً بالقُنْبُلَةِ النَّثّارَةِ الحَديثَةِ ، وتَحْتَوي عَلَى كَثيرٍ مِنَ الكُراتِ الصَّغيرَةِ ، الّتي هِيَ في حَجْمِ كُراتِ الغُولْفِ ، والّتي تَسْتَطيعُ الواحِدَةُ مِنْها – عِنْدَما تَنْتَثِرُ – أَنْ تَقْتُلَ أَوْ تَجْرَحَ كَثيرًا مِنَ النّاسِ بَعْدَ انْفِجارِها .

ومَعَ أَنَّ جُنودَ تِلْكَ الأَيّامِ كانُوا يَلْبَسُونَ بِزّاتٍ جَميلَةً جِدًّا ، فإِنَّ مُساعِدَ الضّابِطِ بونابَرْتَ لَمْ يَكُنْ مَنْظَرُهُ يَسْتَرْعِي الانْتِباهَ . كانَ قَصيرًا ، ونَحيلًا جِدًّا ، ولا يَبْدُو أَنَّهُ قَوِيٌّ أَبَدًا . أَمّا وَجْهُهُ فكانَ شاحِبًا تَسْتَرْعي الأَنْظارَ فيهِ قَسَماتٌ (ما بَيْنَ الوَجْنَتَيْنِ والأَنْفِ) جَميلَةٌ وعَيْنانِ مُتَأَلِّقَتانِ .

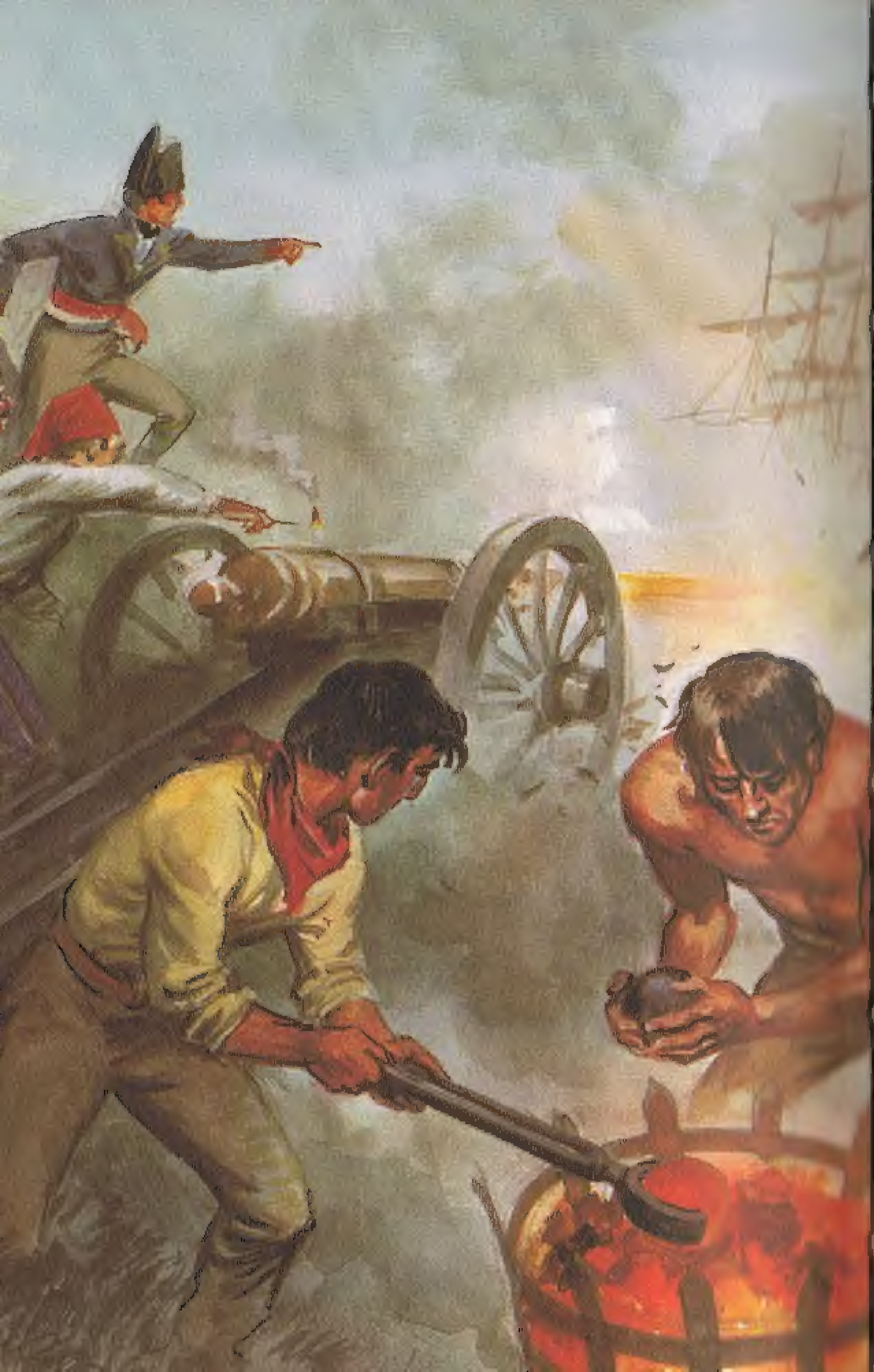


ظَلَّ نابوليونُ يَعُدُّ نَفْسَهُ كورسيكيًّا أَكْثَرَ مِنْهُ فَرَنْسِيًّا . ولكِنَّهُ الآنَ نَقيبٌ (كابتن) في الجَيْشِ الفَرَنْسِيِّ ، وقَدْ أُرْسِلَ إلَى كُورسيكا لِيُخْمِدَ فيها ثَورَةً ، قامَ بِها كورسيكيٌّ غَيُورٌ عَلَى وَطَنِهِ ٱسْمُهُ باوْلي . وكانَ مَعْنَى ذٰلِكَ قَطْعَ عَلاقَتِهِ نِهائِيًّا بكورسيكا ، مِمّا حَمَلَهُ عَلَى نَقْلِ أُمِّهِ وأُسْرَتِهِ إلَى فَرَنْسا .

كانَتْ والِدَةُ نابوليونَ سَيِّدَةً قَوِيَّةَ الشَّخْصِيَّةِ والعَزِيمَةِ . وٱسْتَطاعَتْ أَنْ تَحُولَ دُونَ مُحاوَلاتِ أَتْباعِ باوْلي إلقاءَ القَبْضِ عَلَيْها وعَلَى أَوْلادِهـا الصِّغارِ .

أَصْبَحَ أَفْرادُ العائِلَةِ لاجِئِينَ ، ولَمْ يَبْقَ لَهُمْ دَخْلٌ يَعيشُونَ عَلَيْهِ سِوَى راتِبِ نابوليونَ . ولكِنَّ أَخاهُ الأَكْبَرَ جُوزيفَ ، تَزَوَّجَ في ذٰلِكَ الوَقْتِ ٱبْنَةَ تاجِرٍ غَنِيٍّ ، دُونَ أَنْ يَفُوزَ بِرِضَى أَبِيها التّامّ . ولَوْ عَلِمَ الأَبُ أَنَّها سَتُصْبِحُ يَوْمًا مَلِكَةً عَلَى إسْبانيا ، لَما كانَ أَبْدَى مُعارَضَتَهُ الشَّديدَةَ لِذٰلِكَ الزَّواجِ .

أَمّا نابوليونُ فَقَدْ أَرادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ ٱبْنَةً أُخْرَى لِذٰلِكَ التّاجِرِ ، فَلَمْ يُوافِقْ هٰذِهِ المَرَّةَ أَبُوها عَلَى ذٰلِكَ . لكِنْ ، عِنْدَما أَصْبَحَ نابوليونُ إمبراطورًا عَلَى فَرَنْسا بَعْدَ أَحَدَ عَشَرَ عامًا فَقَطْ ، يُرَجَّحُ أَنْ يَكُونَ الأَبُ قَدْ أَسِفَ عَلَى رَفْضِهِ طَلَبَ الضّابِطِ الشّابِّ في سِلاحِ المِدْفَعِيَّةِ . وتَزَوَّجَتْ تِلْكَ الاَبْنَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ الجنرالَ برنادوت ، أَحَدَ جنرالاتِ نابوليونَ ، وأَصْبَحَتْ مَلِكَةَ السُّوَيْدِ . وقَدِ ٱحْتَفَظَتْ أُسْرَةُ برنادوت بالعَرْشِ ، ومَلِكُ السُّوَيْدِ اليَوْمَ هُوَ مِنْ سُلالَتِهِ .



اِنْدَلَعَتْ نِيرانُ الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّةِ عامَ ١٧٨٩ ، وأَصْبَحَتْ فَرَنْسا جُمْهُورِيَّةً بَعْدَ ثَلاثِ سَنَواتٍ . قُتِلَ المَلِكُ ، وتَجَمَّعَتْ جُيُوشُ البُلْدانِ الأُورُوبِّيَّةِ كُلُّها لِتَثْأَرَ لِمَقْتَلِهِ .

ظَلَّتْ هُنالِكَ أَجْزاءٌ مِنْ فَرَنْسا ضِدَّ الحُكُومَةِ الجَدِيدَةِ . وأَحَدُ هٰذِهِ الأَجْزاءِ كانَ مَرْفَأَ طولونَ ، حَيْثُ طَلَبَ المُواطِنُونَ مُساعَدَةَ بَعْضِ السُّفُنِ الإِنْكِلِيزِيَّةِ الحَرْبِيَّةِ ، الَّتي كانَتْ قَدْ أَلْقَتْ مَراسِيَها في المَرْفَإِ .

كانَ الجِنرالاتُ الفَرَنْسِيُّونَ غَيْرَ قادِرِينَ عَلَى الاتِّفاقِ عَلَى طَرِيقَةٍ يُهاجِمُونَ بِها المَدِينَةَ . ولَمْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْإِصْغاءِ إِلَى نَصِيحَةِ ضابِطٍ شابٍّ في المِدْفَعِيَّةِ . وظَلُّوا عَلَى تَرَدُّدِهِمْ ، إِلَى أَنْ حَلَّ مَكانَهُمْ جِنرالٌ أَكْثَرُ خِبْرَةً مِنْهُمْ ، مَنَحَ نابوليونَ الفُرْصَةَ الَّتي غَيَّرَتْ مَجْرَى حَياتِهِ ، وقُدِّرَ لَها أَنْ تُؤَثِّرَ في تارِيخِ أُورُوبا كُلِّها .

أُعْطِيَتْ قِيادَةُ المِدْفَعِيَّةِ لِلنَّقِيبِ (الكابتن) بونابَرْتَ ، ذٰلِكَ الاسْمِ الَّذي عُرِفَ بِهِ حِينَ أَصْبَحَ إِمبراطورًا بَعْدَ ذٰلِكَ . كانَ قَدْ أَلَحَّ ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، عَلَى وَضْعِ المَدافِعِ فَوْقَ نُتُوءٍ جَبَلِيٍّ داخِلٍ في البَحْرِ ، ومُشْرِفٍ عَلَى المِيناءِ . فَفَعَلُوا هٰذا ، وأَقامَ نابوليونُ مَواقِدَ لِلنّارِ لِإِحْماءِ كُراتِ المَدافِعِ حَتَّى الاحْمِرارِ . وعِنْدَما بَدَأَتْ هٰذِهِ الكُراتُ تَسْقُطُ بَيْنَ السُّفُنِ الإِنْكِلِيزِيَّةِ ، غادَرَتِ السُّفُنُ المِيناءَ . فَاسْتَسْلَمَتْ طولونُ بَعْدَما فَقَدَتْ مُساعَدَتَهُمْ .



رُقِّيَ نابوليونُ إلَى رُتْبَةِ عَميدٍ بَعْدَ سُقُوطِ طُولونَ . وكانَتْ تِلْكَ تَرْقِيَةً سَريعَةً بالنِّسْبَةِ إلَى شابٍّ لا يَزالُ في عامِهِ الرّابِعِ والعِشْرينَ ، فغارَ مِنْهُ كَثيرٌ مِنَ الضُّبّاطِ الّذينَ كانُوا أَكْبَرَ مِنْهُ سِنًّا ، ولَمْ يَثِقْ بِهِ كَثيرٌ مِنَ السِّياسِيِّينَ ، ولكِنَّهُ كانَ ضابِطًا مُفيدًا جِدًّا ، بِحَيْثُ يَصْعُبُ الاسْتِغْناءُ عَنْ خَدَماتِهِ .

ثُمَّ أُرْسِلَ نابوليونُ إلَى الجَيْشِ الفَرَنْسِيِّ الّذي كانَ يُقاوِمُ النَّمْساوِيِّينَ في شَمالِ إيطاليا . لَمْ يَكُنِ الجنرالاتُ الفَرَنْسِيُّونَ هُناكَ أَيْضًا ذَوي كَفاءَةٍ ، وقَدْ رَفَضُوا أَنْ يُصْغُوا إلَى ما قالَهُ نابوليونُ عِنْدَ وُصُولِهِ . لكِنَّهُمْ عِنْدَما عَمِلُوا بِما اقْتَرَحَهُ عَلَيْهِمْ ، تَغَيَّرَتِ الحالُ فَوْرًا .

كانَ نابوليونُ الشّابُّ قَدْ قَرَأَ – وهُوَ في المَدْرَسَةِ الحَرْبِيَّةِ – كِتابًا عَنِ التَّعْبِئَةِ الحَرْبِيَّةِ ، فَلَمْ يَنْسَ ما جاءَ فيهِ قَطُّ . وَضَعَ ذٰلِكَ الكِتابُ القَواعِدَ الّتي يَجِبُ أَنْ يَسيرَ عَلَيْها كُلُّ مَنْ تُسْنَدُ إلَيْهِ قِيادَةُ جَيْشٍ : وهِيَ ضَرُورَةُ اخْتِيارِ نُقْطَةِ الهُجُومِ ، الّتي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فيها أَقْوَى مِنَ العَدُوِّ ، وضَرُورَةُ المُحاوَلَةِ الدّائِمَةِ لِمُباغَتَةِ العَدُوِّ بالانْتِقالِ السَّريعِ مِنْ مَكانٍ إلَى آخَرَ .

ولَمّا كانَ نابوليونُ يَتَذَكَّرُ دائِمًا هاتَيْنِ القاعِدَتَيْنِ ، فَقَدْ راحَ يَرْبَحُ مَعْرَكَةً بَعْدَ أُخْرَى ، حَتَّى بَدا أَنَّهُ لا يُقْهَرُ . وبالإضافَةِ إلَى سُرْعَةِ نابوليونَ في الحَرَكَةِ ، كانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى خَريطَةٍ ، ويَعْرِفَ فَوْرًا كَيْفَ يُحَرِّكُ جُنُودَهُ ، والمَكانَ الّذي يُوَجِّهُهُمْ إلَيْهِ ، لِيُباغِتَ العَدُوَّ بِذٰلِكَ .



عادَ نابوليونُ مِنْ إيطاليا لِيَرى أَصْدِقاءَهُ في الحُكُومَةِ قَدْ أُبْدِلَ بِهِمْ غَيْرُهُمْ ، وأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ أَصْبَحَ مَغْضُوبًا عَلَيْهِ . لَقَدْ جَعَلُوهُ قائِدًا عَلَى بَعْضِ الجُنُودِ ، الَّذينَ كانُوا يُخْضِعُونَ جُزْءًا مِنْ فَرَنْسا ، اسْمُهُ الفانديه ، لَمْ يَعْتَرِفْ بالحُكُومَةِ الثَّوْرِيَّةِ .

رَفَضَ نابوليونُ تَسَلُّمَ القِيادَةِ قائِلًا إنَّهُ رَجُلُ مِدْفَعِيٍّ ، يَجْهَلُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ قِيادَةِ المُشاةِ . وقَدْ بَدا صُدُورُ هٰذا غَرِيبًا مِنْ رَجُلٍ ، قادَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِئاتِ الأُلُوفِ مِنَ المُشاةِ الظّافِرِينَ في أُوروبّا كُلِّها .

وفي عام ١٧٩٥ طَلَبَ سُلْطانُ تُرْكِيا ضُبّاطًا فَرَنْسِيِّينَ مِنَ المِدْفَعِيِّينَ لِلْمُساعَدَةِ في تَنْظيمِ جَيْشِهِ . فأَحَبَّ نابوليونُ الالْتِحاقَ بالجَيْشِ التُّرْكِيِّ ، فَطَلَبَ مِنْ قِيادَةِ الجَيْشِ الفَرَنْسِيِّ السَّماحَ لَهُ بالذَّهابِ إلَى تُرْكِيا . ولكِنَّ القِيادَةَ رَفَضَتْ طَلَبَهُ . ولَوْ قَبِلَتْهُ لَتَغَيَّرَ مُسْتَقْبَلُ نابوليونَ ، ولَمْ يُصْبِحْ إمبراطورًا عَلَى فَرَنْسا ، ولَمْ يُحارِبْ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ البُلْدانِ الأُورُوبِّيَّةِ .

لَقَدْ بَدا أَنَّ حَظَّ نابوليونَ كانَ في تَقَهْقُرٍ شَديدٍ . كانَ فَقيرًا ، ومَغْضُوبًا عَلَيْهِ ، وجائِعًا في كَثيرٍ مِنَ الأَحْيانِ ، حَتَّى اضْطُرَّ مَرَّةً إلَى بَيْعِ ساعَتِهِ لِيَشْتَرِيَ بِثَمَنِها طَعامًا . ثُمَّ دارَ دُولابُ الحَظِّ عَلَى هَواهُ بَيْنَ عَشِيَّةٍ وضُحاها ، كما دارَ مَعَهُ مِنْ قَبْلُ ؛ إذْ إنَّ صَديقَهُ السِّياسِيَّ بارّاسَ ، الَّذي لَمْ يَكُنْ جُنْدِيًّا ، وَجَدَ نَفْسَهُ يُواجِهُ حَرْبًا أَهْلِيَّةً في باريسَ . فَطَلَبَ مُساعَدَةَ نابوليونَ ، الَّذي ظَلَّ يَذْكُرُهُ مُنْذُ اسْتِيلائِهِ عَلَى طُولُونَ .



كانَتِ الثَّوْرَةُ المُسَلَّحَةُ ، الّتي نَظَّمَها المَلَكِيُّونَ ، تُنْذِرُ بالخَطَرِ الشَّديدِ . كانَ عِنْدَهُمْ ٣٠,٠٠٠ رَجُلٍ مُسْتَعِدّينَ لِلْهُجُومِ . ولَمْ يَكُنْ لَدَى المُؤْتَمَرِ ، وهُوَ الاسْمُ الّذي كانَ يُطْلَقُ عَلَى الحُكُومَةِ الفَرَنْسِيَّةِ ، سِوَى ٨,٠٠٠ . ولكِنَّ نابوليونَ بونابَرْتَ كانَ يَقُودُهُمْ .

كانَ هُناكَ مَرْكَزٌ لِلْمِدْفَعِيَّةِ ، في مَكانٍ اسْمُهُ سابلونُ ، صَمَّمَ المَلَكِيُّونَ عَلَى الاسْتِيلاءِ عَلَيْهِ . فَأَرْسَلُوا فِرْقَةً مِنَ الجَيْشِ لِلاسْتِيلاءِ عَلَى المَدافِعِ ، ولكِنَّ نابوليونَ سَبَقَهُمْ إلَى ذلِكَ المَكانِ ، وبَطَشَ بِهِمْ بِشِدَّةٍ . فما أَنْ ظَهَرَ المَلَكِيُّونَ حَتَّى فَتَحَ نابوليونُ نيرانَ المَدافِعِ النَّثّارَةِ عَلَيْهِمْ ، فَحَصَدَ مِنْهُمْ أَرْواحَ المِئاتِ ، وهَرَبَ الباقُونَ .

وشَتَّتَ نابوليونُ شَمْلَ المَلَكِيِّينَ في أَمْكِنَةٍ أُخْرَى مِنْ باريسَ ، كالمَكانِ الشَّهيرِ المُسَمَّى بالجِسْرِ المَلَكِيِّ . فَرَبِحَ بِذلِكَ تَقْديرَ أَعْضاءِ المُؤْتَمَرِ وشُكْرَهُمُ الجَزيلَ . لَقَدْ أَصْبَحَ الآنَ مَرْكَزُهُ قَوِيًّا ، ولكِنَّهُ أَرادَ أَنْ تُتاحَ لَهُ فُرْصَةٌ ثانِيَةٌ ، لِيُثْبِتَ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ القِيامَ بِعَمَلٍ حَرْبِيٍّ أَعْظَمَ ، وبِصُورَةٍ أَحْسَنَ مِنْ أَيِّ جِنْرالٍ فَرَنْسِيٍّ آخَرَ .

لَمْ تَكُنِ الحَرْبُ ضِدَّ النَّمْسا تَسيرُ سَيْرًا حَسَنًا . فنابوليونُ الّذي أَصْبَحَ الآنَ صَديقًا لِأَعْضاءِ الحُكُومَةِ ، الْتَقَى وزيرَ الحَرْبِيَّةِ وتَحَدَّثَ إلَيْهِ ، وطَلَبَ مِنْهُ إرْسالَهُ إلَى إيطاليا ، لِيَقُودَ الجَيْشَ الفَرَنْسِيَّ هُناكَ .



وافَقَ وزيرُ الحَرْبِيَّةِ كارنو عَلَى طَلَبِ نابوليونَ . وعُيِّنَ الجنرالُ بونابَرْتُ قائِدًا أَعْلَى في إيطاليا . ولكِنْ حَدَثَ قَبْلَ ذَهابِهِ شَيْءٌ ، أَصْبَحَ فيما بَعْدُ ذا أَهَمِّيَّةٍ كَبيرَةٍ جِدًّا ؛ ذٰلِكَ هُوَ زَواجُهُ .

عِنْدَما كانَ نابوليونُ ضابِطًا مَغْضوبًا عَلَيْهِ ، ولا عَمَلَ لَهُ ، التَقَى جوزفينَ بوهارنيه حينَ أَعادَ إِلَيْها سَيْفَ زَوْجِها ، الَّذي كانَ قَدْ قُتِلَ في الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّةِ . كانَتْ أَكْبَرَ مِنْ نابوليونَ بِسِتِّ سَنَواتٍ ، وكانَتْ أَوَّلَ الأَمْرِ تَسْتَهينُ بِالضّابِطِ الشّابِّ ذي المَلابِسِ الرَّثَّةِ .

كانَ باراسُ أَيْضًا صَديقًا لِجوزفينَ بوهارنيه ، فأَكَّدَ لَها أَنَّ الجنرالَ بونابَرْتَ الشّابَّ لَنْ يَكونَ زَوْجًا سَيِّئًا كما يَبْدو مِنْ مَظْهَرِهِ . أَحَسَّ باراسُ أَنَّ نابوليونَ رَجُلٌ ، يَجِبُ أَنْ لا يُحْكَمَ عَلَيْهِ مِنْ مِعْطَفِهِ القَديمِ ، وشَعْرِهِ الطَّويلِ المُشَعَّثِ (المُتَفَرِّقِ) ، الَّذي نَراهُ في صُوَرِ نابوليونَ الزَّيْتِيَّةِ عِنْدَما كانَ عُمْرُهُ سِتَّةً وعِشْرينَ عامًا .

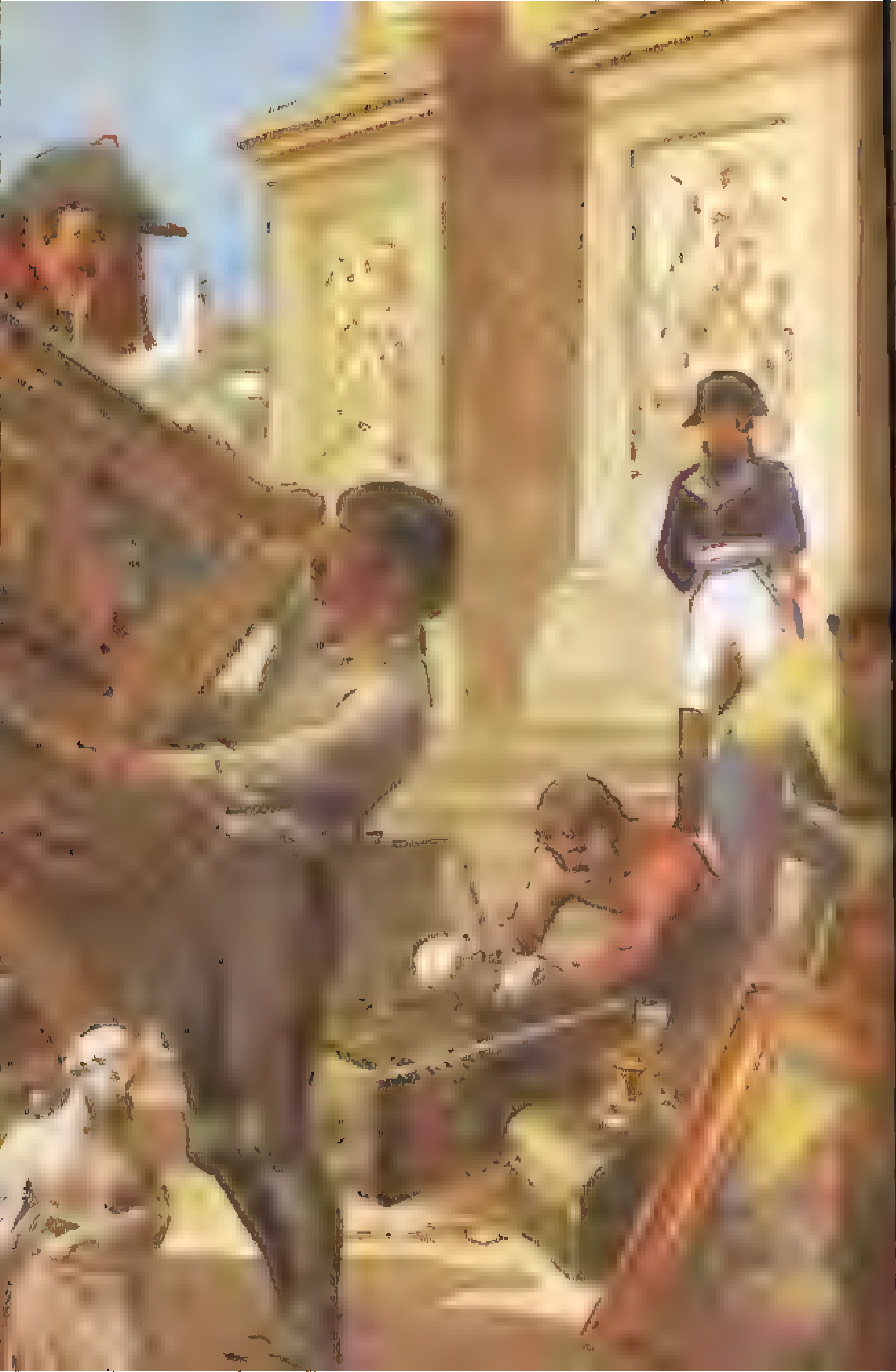
كانَ باراسُ أَبْعَدَ مِنْ أَنْ يَعْرِفَ إِلَى أَيَّةِ قِمَّةٍ مِنْ قِمَمِ المَجْدِ سَيَرْتَفِعُ نابوليونُ في أَقَلَّ مِنْ عَشْرِ سَنَواتٍ ، ولكِنَّهُ قالَ لِجوزفينَ بوهارنيه عَنْهُ كَلامًا كافِيًا ، أَقْنَعَها أَنَّهُ كانَ رَجُلًا يَسْتَحِقُّ أَنْ تُصْبِحَ زَوْجَةً لَهُ ، ثُمَّ تَمَّ الزَّواجُ ، واضْطُرَّ نابوليونُ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ إِلَى تَطْليقِها ، لِأَسْبابٍ ذاتِ صِلَةٍ بِالدَّوْلَةِ ، ولكِنَّهُ ظَلَّ يُحِبُّها إِلَى آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ حَياتِهِ .



عِنْدَما وَصَلَ الجنرالُ بونابَرْتُ إِلَى إيطاليا ، نَظَرَ الجنرالاتُ الأَكْبَرُ سِنًّا إِلَى الشّابِّ النَّحيفِ ، الّذي أَرْسَلَهُ السِّياسِيُّونَ في باريسَ لِيُصْبِحَ قائِدًا عَلَيْهِمْ ، نَظْرَةَ احْتِقارٍ . ولكِنَّهُمْ غَيَّروا آراءَهُمْ بِسُرْعَةٍ .

وَجَدَ نابوليونُ الجَيْشَ الفَرَنْسِيَّ في حالَةٍ سَيِّئَةٍ جِدًّا . كانَ نِصْفُ الجُنُودِ يَرْتَدُونَ ثِيابًا بالِيَةً ، وكانُوا جَميعُهُمْ جائِعينَ ، ولَمْ تُدْفَعِ الرَّواتِبُ لِأَيِّ واحِدٍ مِنْهُمْ مُنْذُ شُهورٍ . بَدَأَ بِوَعْدِهِمْ أَنْ يَقُودَهُمْ إِلَى أَرْضٍ كَثيرَةِ الخَيْراتِ ، حَيْثُ يُتاحُ لَهُمْ أَخْذُ كُلِّ شَيْءٍ . فالشَّرَفُ والشُّهْرَةُ والغِنَى كانَتْ في انْتِظارِهِمْ ، إِذا كانَتْ لَدَيْهِمُ الشَّجاعَةُ الكافِيَةُ لِلْمُحارَبَةِ مِنْ أَجْلِ الفَوْزِ بِها . بَثَّتْ كَلِماتُهُ الشَّجاعَةَ في قُلُوبِ الجُنُودِ الجِياعِ ، ورَأَوْا فيهِ رَجُلًا يَخْتَلِفُ كَثيرًا عَنِ الجنرالاتِ القُدامَى ، الّذينَ كانُوا يَتْرُكُونَ الأُمُورَ تَسيرُ عَلَى غَيْرِ هُدًى .

قَدْ يَكُونُ نابوليونُ جافًّا مَعَ جنرالاتِهِ ، ومُحِبًّا لِلسَّيْطَرَةِ عَلَيْهِمْ ، ولكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَذلِكَ قَطُّ مَعَ جُنُودِهِ كانَ يَدْخُلُ بَيْنَهُمْ كَأَنَّهُ صَديقٌ لَهُمْ . وكانَ يَتَذَكَّرُ كَثيرًا مِنْ أَسْمائِهِمْ ، ويَسْأَلُهُمْ عَنْ أُسَرِهِمْ . لَمْ يَقُمْ بِمِثْلِ هذا أَيُّ جنرالٍ قَبْلَهُ أَبَدًا ، فَأَصْبَحُوا مُخْلِصينَ لَهُ إِخْلاصًا تامًّا . وجَعَلَتْهُمْ شَجاعَتُهُ يَحْتَرِمُونَهُ . وفي إِحْدَى المَعارِكِ في لودي كانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَسْتَوْلُوا عَلَى أَحَدِ الجُسُورِ . وكانَ القَصْفُ المِدْفَعِيُّ النَّمْساوِيُّ مُخيفًا جِدًّا ، لكِنَّ نابوليونَ لَمْ يَكْتَفِ بِجَلْبِ مَدافِعِهِ ، بَلْ راحَ يَحْشُوها بِنَفْسِهِ .



دَهِشَ الجُنُودُ الفَرَنْسِيُّونَ كَثِيرًا عِنْدَما رَأَوْا قائِدَهُمُ الجَدِيدَ يَعْمَلُ مِدْفَعِيًّا ، بَعْدَ أَنِ اعْتادُوا رُؤْيَةَ جنرالاتِهِمْ يَبْتَعِدُونَ عَنِ الخَطَرِ ابْتِعادًا تامًّا . وغَدا هٰذا رَأَوْا فِيهِ رَجُلًا يَعْرِفُ تَمامًا ماذا يَجِبُ أَنْ يَعْمَلَ ، وكَيْفَ يَعْمَلُ وقَدْ عَرَفَهُ الجَيْشُ كُلُّهُ بَعْدَ لودي بالعَرِيفِ الصَّغِيرِ وَعَدَّهُ الجُنُودُ واحِدًا مِنْهُمْ ، وهٰذا هُوَ الشَّرَفُ الأَعْظَمُ .

كانَ نابوليونُ يُطَبِّقُ الخُطَطَ الحَرْبِيَّةَ الَّتِي تَضْمَنُ لَهُ النَّصْرَ دائِمًا . يَقْسِمُ قُوَى العَدُوِّ ، ثُمَّ يُهاجِمُ أَكْثَرَ الأَماكِنِ ضَعْفًا بِسُرْعَةٍ صاعِقَةٍ . وهٰذا جَعَلَهُ يَطْرُدُ النَّمْساوِيِّينَ في زَمَنٍ قَصِيرٍ مِنْ إِيطاليا ، ويُجْبِرُهُمْ عَلَى إِنْهاءِ الحَرْبِ وطَلَبِ السِّلْمِ .

كانَ رِبْحُ مَعْرَكَةٍ في إِيطاليا أَمْرًا مُهِمًّا ، ولٰكِنَّ نابوليون عَرَفَ أَنَّ النَّصْرَ لا يَكُونُ ذا أَهَمِّيَّةٍ لَدَى السِّياسِيِّينَ في باريسَ إِلَّا إِذا جاءَ بِأَرْباحٍ مالِيَّةٍ وغَيْرِ مالِيَّةٍ . فعُنِيَ بِرِجالِهِ عِنايَةً مُمْتازَةً ، دُونَ أَنْ يَنْسَى الاهْتِمامَ بالسِّياسِيِّينَ أَبَدًا .

كانَتِ الخَزِينَةُ الفَرَنْسِيَّةُ خالِيَةً مِنَ المالِ تَقْرِيبًا . فحَمَلَ نابوليونُ العَدُوَّ المَغْلُوبَ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ أَكْثَرَ مِنْ سِتِّينَ مِلْيُونَ فَرَنْكٍ ، أَرْسَلَها إِلَى فَرَنْسا ، وهٰذا جَعَلَهُ ذا حُظْوَةٍ عِنْدَ الحُكُومَةِ . أَمَّا الشَّعْبُ الفَرَنْسِيُّ فقَدْ شَكَرَهُ لِأَنَّهُ مَلَأَ صالاتِ عَرْضِ الصُّوَرِ والتَّماثِيلِ والمَتاحِفِ بِكُنُوزٍ مِنَ الغَنائِمِ الَّتِي اسْتَوْلَى عَلَيْها ، لا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ .



أَصْبَحَ نابوليونُ أَشْهَرَ رَجُلٍ في فَرَنْسا ، ولكِنَّهُ عِنْدَما عادَ إِلَيْها عَرَفَ أَنَّ السِّياسِيِّينَ لَمْ يَكُونُوا يَحْسُدُونَهُ عَلَى شَعْبِيَّتِهِ فَحَسْبُ ، بَلْ كانُوا يَخافُونَ مِنْهُ أَيْضًا . ومَعَ ذٰلِكَ ، أَدْرَكَ أَنَّ الوَقْتَ لَمْ يَحِنْ بَعْدُ لِلقَضاءِ عَلَيْهِمْ ، فحاوَلَ الاَبْتِعادَ كَثِيرًا عَنِ الظُّهُورِ .

أُعْطِيَتْ إِلَى فَرَنْسا ، في المُعاهَدَةِ مَعَ النَّمْسا ، الأَرْضُ الَّتي تُسَمَّى اليَوْمَ بلجيكا . وهٰذا مَعْناهُ أَنَّ جَمِيعَ الشّاطِئِ المُواجِهِ لِدوفَرَ الإِنْكِليزِيَّةِ أَصْبَحَ في أَيْدِي الفَرَنْسِيِّينَ . ورَفَضَتِ الحُكُومَةُ الإِنْكِلِيزِيَّةُ ، الَّتي كانَ (بِتّ) الشَّهِيرُ رَئِيسَ وُزَرائِها ، الاَعْتِرافَ بالمُعاهَدَةِ .

لِذا ظَلَّتْ إِنْكِلْترا في حالَةِ حَرْبٍ مَعَ فَرَنْسا . فَقَرَّرَتِ الحُكُومَةُ الفَرَنْسِيَّةُ غَزْوَ إِنْكِلْترا ، وأَرْسَلَتْ نابوليونَ إِلَى « بُولونَ » لِيُعْطِيَ تَقْرِيرًا عَنْ هٰذا الاَقْتِراحِ . وظَنُّوا أَيْضًا أَنَّها طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ لإِبْعادِهِ عَنْ بارِيسَ .

قَضَى نابوليونُ ثَلاثَةَ أَسابِيعَ في « بُولونَ » . أَيْقَنَ أَنَّ فِكْرَةَ غَزْوِ إِنْكِلْترا كانَتْ مُسْتَحِيلَةً تَمامًا ، ما دامَ الأُسْطُولُ الإِنْكِلِيزِيُّ مُسَيْطِرًا عَلَى القَنالِ . وجاءَ في تَقْرِيرِهِ أَنَّ عُبُورَ القَنالِ الانْكِلِيزِيِّ سَيَسْتَغْرِقُ سَبْعَ ساعاتٍ أَوْ ثَمانِيًا ، ولا يُمْكِنُ ذٰلِكَ إِلّا في ساعاتِ الظَّلامِ . ومَعَ ذٰلِكَ ، واصَلَ الفَرَنْسِيُّونَ الاَسْتِعْداداتِ لِكَيْ يَخْدَعُوا الإِنْكِلِيزَ .



فِي هذِهِ الأَثْناءِ اقْتَرَحَ نابوليونُ طَرِيقَةً أُخْرَى لِضَرْبِ إِنْكِلْترا ، هِيَ احْتِلالُ مِصْرَ وإِغْلاقُ الطَّرِيقِ إِلَى الهِنْدِ ، فَيُزَعْزِعُ بِذٰلِكَ التِّجارَةَ مَعَ الشَّرْقِ ، ويُرْغِمُ إِنْكِلْترا عَلَى طَلَبِ الصُّلْحِ .

كانَتْ عَمَلِيَّةً خَطِرَةً ، إِذْ كانَ الأَميرالُ الإِنْكِليزِيُّ نِلْسُنُ مَعَ أُسْطُولٍ كَبِيرٍ فِي البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ ، مِمّا يُعَرِّضُ لِلْخَطَرِ السُّفُنَ الفَرَنْسِيَّةَ غَيْرَ المُسَلَّحَةِ ، والنّاقِلَةَ لِجَيْشٍ مُؤَلَّفٍ مِنْ ٤٠,٠٠٠ رَجُلٍ . ومَعَ ذٰلِكَ كُلِّهِ أَبْحَرَتِ الحَمْلَةُ الفَرَنْسِيَّةُ فِي ١٩ أَيّارَ سَنَةَ ١٧٩٨ ، ونَزَلَتْ بِأَمانٍ فِي مِصْرَ . أَمّا نِلْسُنُ فَقَدْ فاتَتْهُ رُؤْيَتُها ، وهِيَ عَلَى بُعْدِ خَمْسَةِ أَمْيالٍ مِنْهُ ، فِي أَحْلَكِ ساعَةٍ مِنْ لَيالِي أَيّارَ القَصِيرَةِ .

ما كادَ نابوليونُ يَنْزِلُ إِلَى البَرِّ حَتَّى رِبِحَ مَعْرَكَةً قُرْبَ الأَهْرامِاتِ العَظِيمَةِ ، ودَخَلَ القاهِرَةَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ مِنْ نُزُولِهِ إِلَى البَرِّ . أَمّا نِلْسُنُ فَقَدْ وَجَدَ الأُسْطُولَ الفَرَنْسِيَّ ، فِي شَهْرِ آبَ ، راسِيًا فِي خَلِيجِ أَبُو قِير ، فَدَمَّرَهُ . فَأَصْبَحَ نابوليونُ والجَيْشُ الفَرَنْسِيُّ الآنَ مُنْقَطِعِينَ عَنْ فَرَنْسا .

يُمْكِنُكَ أَنْ تَقْرَأَ فِي هٰذِهِ السِّلْسِلَةِ كِتابًا عَنْ نِلْسُنَ ، وعَنْ تَدْمِيرِهِ الأُسْطُولَ الفَرَنْسِيَّ ، وعَنْ حَجَرِ رَشِيدَ الشَّهِيرِ ، الَّذِي أَحْضَرَهُ نابوليونُ مَعَهُ إِلَى فَرَنْسا ، حِينَ عادَ إِلَيْها بَعْدَ عامٍ وسِتَّةِ أَشْهُرٍ .



ظَلَّ الحَظُّ يُلازِمُ نابوليونَ ، إِذْ أَبْحَرَ في بارِجَةٍ حَرْبِيَّةٍ صغيرَةٍ ، في شَهْرِ تِشْرِينَ الأَوَّلِ مِنْ عامِ ١٧٩٩ ، وتَسَلَّلَ مِنْ بَيْنِ الأُسْطُولِ الإِنْكليزِيِّ ، دونَ أَنْ يُرَى . ثُمَّ نَزَلَ إِلَى البَرِّ الفَرَنْسِيِّ ، فاسْتُقْبِلَ ٱسْتِقْبالًا رائِعًا في كُلِّ مَكانٍ ، عَلَى أَنَّهُ الرَّجُلُ الَّذي سَوْفَ يُنْقِذُ الجُمْهورِيَّةَ .

كانَ هُنالِكَ سَبَبٌ وَجيهٌ لِهذا الاسْتِقْبالِ الحارِّ ، إِذْ إِنَّ الجنرالاتِ غَيْرَ الأَكْفاءِ أَضاعُوا جميعَ ٱنْتِصاراتِ نابوليونَ في إِيطاليا ، وعَمَّ الاشْمِئْزازُ في الوَطَنِ . وكانَ جَميعُ الرِّجالِ الَّذينَ كانَ مَفْروضًا فيهِمْ أَنْ يَحْكُمُوا البِلادَ ، يَأْتَمِرُ واحِدُهُمْ بالآخَرِ ، بَيْنَما يُؤَمِّلُ المَلَكِيُّونَ في إِعادَةِ المَلَكِيَّةِ ، ويُهَدِّدُ جَيْشٌ أَلمانيٌّ بِغَزْوِ فَرَنْسا .

وٱنْتَظَرَ نابوليونُ مَرَّةً ثانِيَةً حَتَّى سَنَحَتِ الفُرْصَةُ المُلائِمَةُ . ثُمَّ عَزَلَ أَعْضاءَ الحُكُومَةِ بِمُساعَدَةِ رَجُلٍ فَرَنْسِيٍّ شَهيرٍ ، ٱسْمُهُ تاليرانْ . وأَصْبَحَ نابوليونُ ، الَّذي حَمَلَ لَقَبَ القُنْصُلِ الأَوَّلِ ، سَيِّدَ فَرَنْسا بَعْدَ بِضْعَةِ أَسابيعَ .

أَحْسَنَ ٱسْتِعْمالَ سُلْطاتِهِ الجَديدَةِ ، ولا يَزالُ الكَثيرُ مِمَّا فَعَلَهُ باقِيًا إِلَى اليَوْمِ . لَقَدْ سَنَّ مَجْمُوعَةً مِنَ القَوانينِ الجَديدَةِ ، الَّتي تُعْرَفُ بِٱسْمِ قَوانينِ نابوليونَ ، وأَسَّسَ مَصْرِفَ (بَنْك) فَرَنْسا . وهُنالِكَ شَيْءٌ آخَرُ يَعُودُ الفَضْلُ في إِنْشائِهِ إِلَى نابوليونَ ، هُوَ وِسامُ حَوْقَةِ الشَّرَفِ ، الَّذي لا يَزالُ أَعْلَى وِسامٍ يَسْتَطيعُ الفَرَنْسِيُّ الحُصُولَ عَلَيْهِ . وفَوْقَ هذا كُلِّهِ أَعادَ النِّظامَ والحُكُومَةَ الصَّالِحَةَ إِلَى البِلادِ .



تَعِبَ الشَّعْبُ الفَرَنْسِيُّ مِنَ الحَرْبِ ، وأَرادَ السَّلامَ ، وأَمَّلَ أَنْ يَمْنَعَ الخَوْفُ مِنْ نابوليونَ أَيَّ بَلَدٍ مِنْ مُهاجَمَةِ فَرَنْسا . كانُوا مُخْطِئِينَ ، إِذْ رَفَضَ رَئِيسُ الوزراءِ الإِنْكِلِيزِيُّ (وليم بِتّ) اسْتِتْبابَ السَّلامِ ، وعادَتِ النَّمْسا إِلَى إِنْزالِ جَيْشِها إِلَى المَيْدانِ ، بِمُساعَدَةِ مَبالِغَ طائِلَةٍ مِنَ المالِ قَبَضَتْهُ مِنْ إِنْكِلْترا . فَاضْطُرَّ نابوليونُ إِلَى أَنْ يَذْهَبَ لِمُحارَبَةِ النَّمْساوِيِّينَ .

قادَ نابوليونُ جَيْشًا عَبْرَ مَمَرِّ سان برنار الجَبَلِيِّ الوَعْرِ ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ القُنْصُلَ الأَوَّلَ بِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ . وكانَ عَلَى آلافِ الرِّجالِ ، والخُيُولِ ، والبِغالِ أَنْ تُقاوِمَ ظُرُوفًا قاسِيَةً جِدًّا . ومِمّا كَتَبَهُ نابوليونُ في أَثْناءِ قَطْعِهِ وجَيْشِهِ المَمَرَّ المَذْكُورَ قَوْلُهُ : « نَحْنُ نُحارِبُ الجَلِيدَ ، والثَّلْجَ ، والعَواصِفَ ، وكُتَلَ الثَّلْجِ الضَّخْمَةَ المُنْهارَةَ . » لَقَدْ عَبَرَ الجَيْشُ المَمَرَّ ، وانْحَدَرَ إِلَى إِيطالْيا ، بِتَشْجِيعِ جِنِرالِهِ الَّذي لا يُقْهَرُ ، الَّذي شاطَرَهُ جَمِيعَ مَصاعِبِهِ . وقَدْ كَتَبَ نابوليونُ عَنْ ذٰلِكَ قائِلًا . « نَزَلْنا عَلَى إِيطالْيا نُزُولَ الصّاعِقَةِ . »

لَمْ يَنْسَ نابوليونُ قَطُّ أَنَّهُ كانَ ضابِطًا مِدْفَعِيًّا ، إِذْ كانَ يَدْعَمُ هَجَماتِهِ دائِمًا بِقَصْفٍ مِدْفَعِيٍّ ثَقِيلٍ وكانَ على جُنُودِهِ أَنْ يُفَكِّكُوا المَدافِعَ ، ويَسْحَبُوها عَلَى المَمَرِّ ، وهِيَ فَوْقَ زَلّاجاتٍ (زَحّافاتٍ عَلَى الثَّلْجِ أَوِ الجَلِيدِ) يَجُرُّها مِئاتُ النّاسِ .

قَرَّرَ نابوليونُ أَنْ يَزْحَفَ عَلَى مِيلانَ ، عاصِمَةِ إِيطالْيا الشَّمالِيَّةِ ، ولٰكِنَّهُ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَقِيَ الجَيْشَ النَّمْساوِيَّ أَوَّلًا ويُحَطِّمَهُ . أَضْرَمَ نابوليونُ في حَزِيرانَ نارَ مَعْرَكَةِ مارِنْجو ، وظَفِرَ فيها ، وقَدْ كانَتْ مِنْ أَشَقِّ المَعارِكِ الَّتي خاضَ نابوليونُ غِمارَها في حَياتِهِ الحَرْبِيَّةِ وأَقْساها .



كانَ عُمْرُ نابوليونَ عامَ ١٨٠٠ إحْدَى وثَلاثِينَ سَنَةً ، وكانَ آنَذاكَ قَدْ جَعَلَ إمْبراطورَ النَّمْسا يَتوسَّلُ إليْهِ مَرَّتَيْنِ طالِبًا الصُّلْحَ . وعِنْدما عادَ إلَى فَرَنْسا ، وهُوَ في قِمَّةِ الظَّفرِ ، وبَطَلُ الشَّعْبِ الأَوْحَدُ ، وَجَدَ السِّياسِيِّينَ يأْتَمِرُونَ بِهِ . كانُوا يُؤَمِّلُونَ أَنْ يُقْتَلَ في إيطاليا ، وعِنْدَما عادَ إلَى باريسَ تَفَرَّقُوا وهَرَبُوا .

بَعْدَ عامٍ مِنْ عَقْدِ الصُّلْحِ مع النَّمْسا ، تَلَتْهُ مُعاهدَةُ أميان مُوَقَّعَةً مِنْ فرنْسا وَإنْكِلْترا . ولَمْ يَعْتَقِدْ كِلا الجانِبَيْنِ أَنَّها سَتَدُومُ . كانَ الإنْكِليزُ مُسَيْطِرِينَ عَلَى البِحارِ ، ولكِنَّ نابوليونَ كانَ المُنْتَصِرَ عَلَى البَرِّ . لَمْ يَثِقْ أَحَدُهُما بالآخَرِ .

ولَمْ يَثِقْ نابوليونُ أَيْضًا بالرِّجالِ الَّذينَ أَجْبَرَهُمْ على التَّخَلِّي عَنْ حُكْمِ فَرَنْسا وكانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَما تَنْتَهي مُدَّةُ تَعْيِينِهِ قُنْصُلًا أَوَّلًا ، سَيُقاتِلُ أَحَدُهُمُ الآخَرَ لِيخْلُفُوهُ . وقَدْ تَنْغَمِسُ فرنْسا في حَرْبٍ أَهْلِيَّةٍ .

لَمْ يَكُنْ هُنالِكَ سِوى شَيْءٍ واحِدٍ يَجِبُ أَنْ يُعْمَلَ ، ولَمْ يَتَرَدَّدْ نابوليونُ في عَمَلِهِ . كانَ قَدْ نَجا بِأُعْجُوبَةٍ مِن اغْتِيالٍ ، اتُّهِمَ بِتَدْبيرِهِ عُمَلاءُ الإنْكِليزِ ، مِمّا أَثارَ غَضَبَ الشَّعْبِ الفَرَنْسِيِّ عَلَيْهِمْ . لَقَدْ كانُوا مُوقِنِينَ أَنَّ البِلادَ سَتَعُودُ إلَى الفَوْضَى وسُوءِ الإدارَةِ ، إذا لَمْ يَكُنْ على رَأْسِها نابوليونُ وفي انْتِخابٍ عامٍّ صَوَّتَ الشَّعْبُ كُلُّهُ ، ٣,٥٠٠,٠٠٠ شَخْصٍ بالإجْماعِ عَلَى جَعْلِ نابوليون قُنْصُلًا أَوَّلًا مَدَى الحياةِ . وكانَ ذلِكَ الانْتِخابُ الخُطْوَةَ الأُولَى نَحْوَ التّاجِ .



أَصْبَحَ نابوليونُ إِمْبَراطُورًا عَلَى فَرَنْسا في الثاني مِنْ شَهْرِ كانُونَ الأَوَّلِ ، عامَ ١٨٠٤ كانَ الاَحْتِفالُ رائِعًا ، وكَنِيسةُ نُوتردامَ العَظِيمةُ في باريس غَمَرَتْها الأَنْوارُ المُشِعَّةُ المُلَوَّنَةُ . أَمّا بِذْلاتُ الضُّبّاطِ الرَّسْمِيَّةُ ، والثِّيابُ الزّاهِيَةُ الّتي ٱرْتَداها نابوليونُ نَفْسُهُ ، فَلَمْ يُعْرَفْ لَها شَبِيهٌ مِنْ قَبْلُ .

لَقَدْ جاءَ البابا إِلَى باريسَ لِيُتَوِّجَ الإِمْبَراطورَ الجَدِيدَ ، وبَيْنَما كانَ الاَحْتِفالُ في أَوْجِهِ ، أَخَذَ نابوليونُ التّاجَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ البابا . لَمْ يَكُنْ هُنالِكَ أَحَدٌ جَدِيرٌ بِتَتْوِيجِ نابوليونَ سِوَى نابوليونَ . فأَظْهَرَ بِذَلِكَ لِلْعالَمِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَدِينًا بِتَتْوِيجِهِ لأَحَدٍ ، غَيْرِ جُهُودِهِ الخاصَّةِ ، لا سِواها .

يَحْتاجُ الإِمْبَراطورُ إِلَى بَلاطٍ ، ولكِنَّ جميعَ النُّبَلاءِ ، الّذينَ كانُوا في بَلاطِ لويس السّادِسَ عَشَرَ ، كانُوا قَدْ أُعْدِمُوا ، أَوْ طُرِدُوا مِنْ فرنْسا . فأَوْجَدَ نابوليونُ فِئَةً جَديدةً مِنَ النُّبَلاءِ بِجَعْلِ أَقْرِبائِهِ وأَصْدِقائِهِ أُمَراءَ ، ودُوقاتٍ ، وكُونْتاتٍ ، وباروناتٍ . وأَصْبَحَ تاليران ، الّذي ساعَدَهُ عَلَى أَنْ يُصْبِحَ القُنْصُلَ الأَوَّلَ ، أَميرَ بِنِفَنْتو .

والصَّبِيُّ الفَقِيرُ الّذي كانُوا يَهْزَأُونَ بِهِ لِثِيابِهِ الرَّثَّةِ ، ولَهْجَتِهِ الكُورْسِيكِيَّةِ في المَدْرَسَةِ في بريين ، أَصْبَحَ إِمْبَراطورًا وهُوَ في الرّابِعَةِ والثَّلاثِينَ مِنْ عُمْرِهِ وعِنْدَما رَأَتْ أُمُّ نابوليونَ الاَحْتِفالَ الفَخْمَ الّذي أُقِيمَ لِتَتْوِيجِ ٱبْنِها ، هَزَّتْ رَأْسَها ، وتَمْتَمَتْ قائِلَةً : « يا لَيْتَ هذا يَدُوم . »



بَلَغَ نابوليونُ أَقْصَى ما يَطْمَحُ إِلَيْهِ ، ولَنْ يَسْتَطِيعَ تَجاوُزَهُ . لَقَدْ أَحْرَزَ تاجًا إِمْبِراطورِيًّا ، ولكِنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَظَلَّ سَيِّدَ فَرَنْسا ، ما لَمْ يُصْبِحْ سَيِّدَ أُوروبّا .

فَرِحَ الشَّعْبُ الفَرَنْسِيُّ كَثِيرًا بالحُكُومَةِ المُنَظَّمَةِ تَنْظِيمًا حَسَنًا ، وبالنَّجاحِ الجَدِيدِ . لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بالأَخْطارِ الَّتِي قَدْ تَتَعَرَّضُ لَها فَرَنْسا في المُسْتَقْبَلِ سِوَى نابوليونَ وَحْدَهُ . كانَتْ إِنْكِلْترا ، الَّتِي تُسَيْطِرُ على البَحْرِ ، هِيَ الَّتِي تُزَوِّدُ البُلْدانَ الأُوروبِّيَّةَ بالأَمْوالِ الطَّائِلَةِ لِكَيْ تَتَسَلَّحَ بِسُرْعَةٍ . فَقَرَّرَ أَنْ يَبْدَأَ بِغَزْوِ العَدُوِّ الَّذي كانَ يَخافُ شَرَّهُ أَكْثَرَ مِنْ سِواهُ وسَحْقِهِ .

ظَلَّتِ القَوارِبُ الصَّغِيرَةُ عامَيْنِ ، وهِيَ تَتَجَمَّعُ في المَوانِئِ الفَرَنْسِيَّةِ المُواجِهَةِ لِلشَّاطِئِ الإِنْكِلِيزِيِّ . وكانَ يُخَيِّمُ قُرْبَ بُولُونَ جَيْشٌ مُسْتَعِدٌّ لِلانْتِقالِ إِلَى إِنْكِلْترا . وكانَ في إِنْكِلْترا جَيْشٌ مُسَلَّحٌ ومُسْتَعِدٌّ لِلْحَرْبِ . ولكِنَّ الدِّفاعَ الرَّئِيسِيَّ كانَ يَعْتَمِدُ عَلَى الأُسْطُولِ . وقَدْ رَأَى نابوليونُ أَنَّهُ ما لَمْ يُسَيْطِرْ عَلَى القَنالِ الإِنْكِلِيزِيِّ ، فإِنَّ أَيَّةَ مُحاوَلَةٍ لِنَقْلِ آلافِ الجُنُودِ عَبْرَهُ ، سَتَنْتَهِي بِكارِثَةٍ .

حاوَلَ الأُسْطُولُ الفَرَنْسِيُّ اسْتِدْراجَ السُّفُنِ الإِنْكِلِيزِيَّةِ إِلَى مَكانٍ بعيدٍ ، ولكِنْ ظَلَّ بَعْضُها في البِحارِ الضَّيِّقَةِ دائِمًا . وأَخِيرًا تَلاقَى الأُسْطُولانِ في الطَّرَفِ الأَغَرِّ (ترافالغار) ، فحَطَّمَ نِلْسُنُ الأُسْطُولَيْنِ الفَرَنْسِيَّ والإِسْبانِيَّ المُوَحَّدَيْنِ ، وعَرَفَ نابوليونُ أَنَّ حُلْمَهُ في الانْتِصارِ عَلَى إِنْكِلْترا قَدِ انْتَهَى .



لَمْ يَكُنْ نابوليونُ بَحّارًا ، ولَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا عَنِ الحَرْبِ البَحْرِيَّةِ . وكانَتِ السُّفُنُ الإنْكِليزِيَّةُ تُعَرْقِلُ جَميعَ خُطَطِهِ في كُلِّ مَكانٍ . وقَدْ قالَ مَرَّةً ، وهُوَ غاضِبٌ . « تَجِدُ الإنْكِليزَ حَيْثُما يَسْتَطيعُ الخَشَبُ أَنْ يَعُومَ . »

كانُوا في مَكانٍ آخَرَ بِحاجَةٍ إلَى الجُنُودِ المُعَسْكِرِينَ في بولونَ . حَتَّى قَبْلَ هَزيمَةِ الطَّرَفِ الأَغَرِّ . كانَتِ النَّمْسا وبروسيا وروسيّا جَميعُها تُهَدِّدُ بِمُحارَبَةِ فَرَنْسا . فَقَرَّرَ نابوليونُ أَنْ يَبْدَأَ الحَرْبَ قَبْلَهُمْ ، وسارَ عَبْرَ أُورُوبّا بِسُرْعَةٍ مُدْهِشَةٍ . ظَنَّ أَعْداؤُهُ أَنَّها مُسْتَحيلَةٌ . فَهَزَمَ النَّمْساوِيّينَ والبروسيّينَ والرُّوسَ في سِلْسِلَةٍ مِنَ المَعارِكِ أَدْهَشَتِ العالَمَ . وظَلَّتْ إنْكِلْترا هِيَ الوَحيدَةَ الَّتي لَمْ تُقْهَرْ .

حاوَلَ نابوليونُ القَضاءَ عَلَى تِجارَةِ إنْكِلْترا ، بَعْدَ أَنْ وَجَدَ نَفْسَهُ غَيْرَ قادِرٍ عَلَى الوُصُولِ إلَيْها ومُحارَبَتِها بَرًّا . وجَرَّبَ أَنْ يَجْعَلَ جَميعَ الأُمَمِ في أُورُوبّا تَعِدُهُ بِأَنْ لا تَشْتَرِيَ شَيْئًا مِنَ التُّجّارِ الإنْكِليزِ ، أَوْ تَبيعَهُمْ شَيْئًا .

وافَقُوا جَميعًا عَلَى ذٰلِكَ مُكْرَهينَ ، وصُدِّقَ عَلَى ذٰلِكَ الاتِّفاقِ في اجْتِماعٍ حَضَرَهُ قَيْصَرُ رُوسيا في رَمَثٍ (خَشَبٍ يُشَدُّ بَعْضُهُ إلَى بَعْضٍ ، ويُرْكَبُ في البَحْرِ) في وَسَطِ نَهْرِ نيمِنَ . كانَ اجْتِماعًا غَريبًا ، تَلاقَى فيهِ إمْبراطورانِ ، إمْبراطور روسيا إسْكَنْدَرُ الأَوَّلُ ، وإمْبراطورُ فَرَنْسا نابوليونُ الأَوَّلُ ، وهُما يُظْهِرانِ جَميعَ عَلاماتِ الصَّداقَةِ ، ولٰكِنْ دُونَ أَنْ يَثِقَ أَيُّهما بالآخَرِ ولَمْ يَمُرَّ وَقْتٌ طَويلٌ حَتَّى أَخَلَّ القَيْصَرُ بِجَميعِ وُعُودِهِ لِنابوليونَ .



يَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ نابوليونَ كانَ كُلَّ هٰذا الوَقْتِ رَجُلًا واحِدًا ، يُحاوِلُ أَنْ يَحْكُمَ أُوروبّا كُلَّها ، وهٰذا عِبْءٌ ثَقيلٌ جِدًّا . كَرِهَتْهُ جَميعُ البِلادِ ، ما عَدا فَرَنْسا ، وتَشَوَّقَتْ إِلَى أَخْذِ ثَأْرِها مِنْهُ . لَقَدْ قَهَرَتْهُم عَبْقَرِيَّتُهُ الحَرْبِيَّةُ ، ولٰكِنَّهُ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يُوجَدَ في كُلِّ مَكانٍ . وكُلَّما تَرَكَ الأُمورَ لِلْآخَرينَ ، كانَ الفَرَنْسِيّونَ يُهْزَمونَ في المَعارِكِ ، وكانَتِ الشُّعوبُ الَّتي قَهَرَها تَتَفَجَّرُ ثائِرَةً

كانَ عَدَدُ البُلْدانِ ، الَّتي تَتَعاطَى التِّجارَةَ سِرًّا مَعَ بريطانْيا ، يَزْدادُ يَوْمًا بَعْدَ آخَرَ ، وكانَ نابوليونُ مُضْطَرًّا إِلَى إِرْسالِ جُيوشٍ إِلَى كَثيرٍ مِنَ المَوانِئِ ، مُحاوِلًا إِيقافَ السُّفُنِ الإِنْكِليزِيَّةِ ، الَّتي كانَتْ تُبْحِرُ علانِيَةً إِلَى مَوانِئِ القارّاتِ .

كانَ نابوليونُ قَدْ أَهْدَى لِأَخيهِ جُوزيفَ عَرْشَ إِسْبانْيا ، وكانَتْ إِسْبانْيا أَوَّلَ بِلادٍ ثارَتْ عَلَيْهِ جِهارًا . رَفَضَ الإِسْبانِيّونَ قُبولَ جُوزيفَ مَلِكًا عَلَيْهِمْ ، فَاضْطُرَّ نابوليونُ إِلَى أَنْ يَعْبُرَ جِبالَ البيرينيه بِنَفْسِهِ ، لِكَيْ يَتَلافَى المَصائِبَ الَّتي جَرَّها عَلَيْهِ جِنرالاتُهُ . وبَيْنَما كانَ في إِسْبانْيا ، عادَتِ النَّمْسا إِلَى إِعْلانِ الحَرْبِ أَيْضًا

فَعَبَرَ أُوروبّا مَرَّةً أُخْرَى بِصُورَةٍ سَريعَةٍ ومُذْهِلَةٍ ، في زَمانٍ كانَتْ فيهِ خُطْوَةُ الجَوادِ أَسْرَعَ الخُطَى الَّتي يَتَنَقَّلُ بِها الإِنْسانُ في أَسْفارِهِ . والتَقَى النَّمْساوِيّينَ ، وهَزَمَهُمْ في مَعْرَكَةِ واغرام وقَرَّرَ هٰذِهِ المَرَّةَ أَنْ يَضْمَنَ عَدَمَ ثَوْرَةِ النَّمْسا ، فَطَلَّقَ جُوزِفينَ ، وأَرْغَمَ الإِمْبَراطورَ النَّمْساوِيَّ على أَنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَتَهُ ماري لويز .



عِنْدَما أَصْبَحَ الصَّبِيُّ الكورسيكيُّ في الحاديَةِ والأَرْبَعينَ مِنْ عُمْرِهِ ، تَزَوَّجَ ٱبْنَةَ أَشَدِّ الأُسَرِ المَلَكيَّةِ في أوروبَّا كِبْرِياءً . وأَخيرًا شَعَرَ أَنَّهُ عَلى مُسْتَوًى واحِدٍ مَعَ المُلوكِ ، الَّذينَ ٱنْتَصَرَ عَلَيْهِمْ في الحَرْبِ ، والَّذينَ كانُوا يُعَيِّرُونَهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ سِوَى مُغامِرٍ كورسيكيٍّ .

كانَ تَفْكيرُ المُلوكِ يَخْتَلِفُ عَنْ تَفْكيرِ نابوليون . وأَيَّدَ إسْكَنْدَرُ روسيَا ، صَديقُهُ في تِلْسيت سُوءَ ظَنِّهِ بِهِ ، فٱنْقَلَبَ عَلَيْهِ . ومَعَ أَنَّ نابوليون كانَ يَعْرِفُ صُعُوبَةَ مُحارَبَةِ روسيَا ، إلّا أَنَّهُ غَلَبَ الرُّوسَ مَرَّةً في فريدلاند ، ولَمْ يَكُنْ يَشُكُّ في أَنَّهُ يَسْتَطيعُ أَنْ يَغْلِبَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى .

جَمَعَ أَكْبَرَ جَيْشٍ عَظيمٍ عُرِفَ حَتَّى ذلِكَ الحينِ ، واقْتَحَمَ بِهِ روسيَا . وقَدْ تَوَقَّعَ نابوليونُ أَنْ يَجِدَ بِسُرْعَةٍ جَيْشًا يُقاوِمُهُ ، ولكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَمامَهُ سِوَى رِيفٍ أَجْرَدَ ، وقُرًى بَلْ مُدُنٍ مَحْرُوقَةٍ . ثُمَّ ٱنْتَصَرَ عَلَى الرُّوسِ في بورودينو ، ولكِنَّ الرُّوسَ واصَلُوا تَقَهْقُرَهُمْ

وأَخيرًا وَصَلَ إلَى موسْكو . بَعْدَ مُناوشاتٍ بَسيطَةٍ قامَ بِها الخَيّالَةُ الرُّوسُ ، الَّذينَ يُطْلِقُونَ عَلَيْهِمْ ٱسْمَ القوزاق . فَخُيِّلَ إلى نابوليون الآنَ أَنَّ الرُّوسَ سَيَطْلُبُونَ الصُّلْحَ . وعِنْدَما ٱسْتَيْقَظَ في صَباحِ اليَوْمِ التّالي ، وَجَدَ النِّيرانَ تَلْتَهِمُ موسكو مِنْ أَوَّلِها إلَى آخِرِها . فٱنْتَظَرَ نابوليونُ شَهْرًا ، ولكِنَّ الرُّوسَ لَمْ يُبْدُوا أَيَّةَ عَلامَةٍ تُشيرُ إلَى طَلَبِ الصُّلْحِ . كانَ ذلِكَ في أَواخِرِ شَهْرِ تِشْرينَ الأَوَّلِ ، وكانَ الشِّتاءُ قَدْ حَلَّ . فَلَمْ يَجِدْ نابوليونُ بُدًّا مِنَ التَّقَهْقُرِ .



كانَ التَّقَهْقُرُ مِنْ موسكو كارِثَةً مِنْ أَفْظَعِ الكَوارِثِ العَسْكَرِيَّةِ في التّارِيخِ. وكانَ عَلَى الجَيْشِ الفَرَنْسِيِّ، لِكَيْ يَصِلَ إِلَى أَقْرَبِ نُقْطَةٍ مِنْ فَرَنْسا، أَنْ يَقْطَعَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ مِيلٍ. غَطَّتِ الثُّلُوجُ مُعْظَمَ طُرُقاتِها، فَأَضاعَتْ كُلَّ أَثَرٍ لَها، وأَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْعَواصِفِ الثَّلْجِيَّةِ المُوَلْوِلَةِ، ويَتَحَمَّلَ بُرُودَةً تَصِلُ إِلَى نَحْوِ ٤٠ دَرَجَةً مِئَوِيَّةً تَحْتَ الصِّفْرِ. ولَمْ يَرْجِعْ إِلَى فَرَنْسا مِنَ الَّذِينَ اجْتازُوا نَهْرَ نيمِن إِلَى رُوسِيّا في شَهْرِ حَزِيرانَ، سِوَى عَدَدٍ قَلِيلٍ جِدًّا.

تَرَكَ نابوليونُ الجَيْشَ، وعادَ إِلَى بارِيسَ دونَ أَنْ يَتَوَقَّفَ، في رِحْلَةٍ قَضَى مُعْظَمَها وهُوَ عَلَى زَلّاجَةٍ (عَرَبَةٍ دُونَ عَجَلاتٍ تُجَرُّ عَلَى الجَلِيدِ)، تَجُرُّها خُيُولٌ تُبَدَّلُ بِغَيْرِها حِينَ تَتْعَبُ، بَعْدَ أَنْ تَعْدُوَ (تَرْكُضَ) بِأَقْصَى سُرْعَتِها عَلَى الثَّلْجِ المُتَجَمِّدِ. وما كادَ يَصِلُ إِلَى فَرَنْسا حَتَّى دَعا إِلَى تَجْنِيدِ جَيْشٍ جَدِيدٍ. ولَكِنَّ الدُّوَلَ الأُورُوبِيَّةَ أَصْبَحَتْ كُلُّها ضِدَّهُ. بَعْدَ أَنْ شَجَّعَتْها عَلَى ذٰلِكَ هَزِيمَتُهُ في رُوسِيّا. فَراحَ يَهْزِمُها في مَعْرَكَةٍ بَعْدَ مَعْرَكَةٍ، ولكِنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى التَّقَهْقُرِ إِلَى بارِيسَ في النِّهايَةِ.

جاءَتْ نِهايَتُهُ في آذارَ مِنْ عامِ ١٨١٤ حِينَ لَمْ يَعُدْ إِمْبَراطورَ فَرَنْسا وقَدْ بَدا أَنَّ عَجَلَةَ حَظِّ الصَّبِيِّ الكورسِيكِيِّ قَدْ تَوَقَّفَتْ. كانَ في الخامِسَةِ والأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهِ، ولَمْ يَزَلْ أَعْظَمَ جِنَرالٍ في أُورُوبّا، ولكِنَّ الإِمْبَراطورِيَّةَ الَّتي بَناها قَدِ انْهارَتْ. انْتَهَى نابوليونُ بونابرت. هٰكَذا خُيِّلَ إِلَى حُكّامِ النِّمْسا، وأَلْمانيا، ورُوسِيّا، وإِنْكِلْترا عِنْدَما رَأَوُا السَّفِينَةَ الَّتي أَقَلَّتْ نابوليون إِلَى مَنْفاهُ في جَزِيرَةِ إِلْبا، وهِيَ تَخْتَفِي في الضَّبابِ.



بَقِيَ نابوليونُ في إِلْبا أَقَلَّ مِنْ سَنَةٍ ، كانَ خِلالَهَا لويسُ الثّامِنَ عَشَرَ عَلَى عَرْشِ فَرَنْسا ، بَيْنَما كانَ الجُنُودُ المُسَرَّحُونَ في جَميعِ أَنْحاءِ البِلادِ ، يَتَمَنَّونَ عَوْدَةَ بَطَلِهِم السّابِقِ العَريفِ الصَّغيرِ ، لِيَقُودَهُمْ إِلَى ٱنْتِصاراتٍ جَديدَةٍ . ثُمَّ عادَ فَجْأَةً ، وَدُونَ أَنْ يَتَوَقَّعَ أَحَدٌ ذٰلِكَ .

وحِينَ سارَ عَبْرَ فَرَنْسا ، كانَ النّـاسُ يَحْتَشِدُونَ في الشَّوارِعِ لِكَيْ يُرَحِّبُوا بِـهِ . ثُمَّ أُرْسِلَ جَيْشٌ مِنْ باريسَ لِإِلْقاءِ القَبْضِ عَلَيْهِ . وعِنْدَما ٱقْتَرَبَ الجَيْشُ ، سارَ نابوليونُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ لِمُلاقاتِهِ . وفَجْأَةً ، صاحَ الجُنُودُ بِأَعْلَى أَصْواتِهِمْ : « عاشَ الإِمْبراطورُ » ، عِنْدَما رَأَوُا البَطَلَ الذي ٱنْتَصَرَ في مِئَةِ مَعْرَكَةٍ . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى باريسَ عَلَى رَأْسِ الجُيُوشِ الَّتي أُرْسِلَتْ لِإِلْقاءِ القَبْضِ عَلَيْهِ . أَمّا لويسُ الثّامِنَ عَشَرَ فَقَدْ هَرَبَ لِيَنْجُوَ بِنَفْسِهِ .

كانَتِ الدُّوَلُ الأُوروبِيَّةُ ، ومِنْ بَيْنِها بَريطانيا ، تُسَرِّحُ جُيُوشَها ، ظانَّةً أَنَّها أَصْبَحَتْ في أَمانٍ بَعْدَ نَفْيِ نابوليونَ إِلَى جَزيرَةِ إِلْبا . كانَ أَمَلُ نابوليونَ الوَحيدُ هُوَ سَحْقَ القُوَى الَّتي لا تَزالُ مُسَلَّحَةً ، قَبْلَ أَنْ يُعَبِّئُوا الجُـنُودَ المُسَرَّحينَ لِمُحارَبَتِهِ .

أَلَّفَ نابوليونُ بِسُرْعَةٍ جَيْشًا مِنَ الرِّجالِ المُدَرَّبِينَ عَلَى الحُرُوبِ . كانَ يَعْلَمُ أَنَّ في ساحَةِ المَعْرَكَةِ جَيْشَيْنِ مُعادِيَيْنِ لَهُ ، ولكِنَّ هُنالِكَ خَمْسَةَ عَشَرَ مِيلًا تَفْصِلُ بَيْنَهُما . كانَ ولنجتونُ في كاتْرِ بْرا عَلَى مَسافَةِ عَشَرَةِ أَمْيـالٍ مِنْ جَنُوبِ بُروكسِلِ . وكانَ بلوخرُ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ أَلْمانِيّ في قَرْيَةِ لِينْيي ، الواقِعَةِ عَلَى بُعْدِ خَمْسَةَ عَشَرَ مِيلًا في الجَنُوبِ الشَّرْقِيّ . قَرَّرَ نابوليونُ أَنْ يُهاجِمَ كُـلًّا مِنْهُما وَحْدَهُ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّحِدا .



كانَ نابوليونُ مَرِيضًا ، فَوَقَعَ جنرالاتُهُ في أَخْطاءٍ حَرْبِيَّةٍ كَثِيرَةٍ . ومَعَ أَنَّ ولنجتونَ أُجْبِرَ عَلَى التَّقَهْقُرِ مِنْ كاتْر بْرا ، وبلوخر طُرِدَ مِنْ لِينيي ، فإنَّ الفرنْسيّينَ لَمْ يُطارِدُوهُما لِتَحْقِيقِ نَصْرٍ حاسِمٍ عَلَيْهِما . وكانَتِ الغَلْطَةُ الكُبْرَى هِيَ أَنَّ نابوليونَ ٱعْتَقَدَ أَنَّ بلوخرَ قَدْ تَقَهْقَرَ بَعِيدًا عَنْ ولنجتونَ ، بَيْنَما كانَ في الحَقِيقَةِ يَتَّجِهُ شَمالًا لِلانْضِمامِ إِلَيْهِ .

تَمَرْكَزَ الإِنْكليزُ في مَكانٍ قُرْبَ قَرْيَةِ واترلو ، الَّتي تَبْعُدُ بِضْعَةَ أَمْيالٍ عَنْ بروكسيل . وكانَ بلوخَرُ قُرْبَ وافْر الَّتي تَبْعُدُ سَبْعَةَ أَمْيالٍ شَرْقًا ، دُونَ أَنْ يَعْلَمَ نابوليونُ بِذٰلِكَ . ثُمَّ بَدَأَتْ مَعْرَكَةُ واترلو بِمُحاوَلاتٍ لِاحْتِلالِ عَدَدٍ مِنْ بُيُوتِ الفَلّاحِينَ ، الَّتي كانَتْ أَمامَ الجَيْشِ الإِنْكليزيّ . وعِنْدَما رَأَى نابوليونُ أَنَّ تِلْكَ المُحاوَلَةَ لَمْ تَنْجَحْ ، هاجَمَ جَيْشَ ولنجتونَ بالمِدْفَعِيَّةِ والمُشاةِ . فكَوَّنَ الإِنْكليزُ مُرَبَّعاتٍ مُتَراصَّةً مُسَدِّدَةً الحِرابَ إِلَى الفرنْسيّينَ ، الَّذينَ هاجَمُوها مِرارًا ، دُونَ أَنْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ ٱخْتِراقِ نِطاقِها .

وَصَلَ البروسيُّونَ إِلَى مَيْدانِ المَعْرَكَةِ قُبَيْلَ الغُرُوبِ ، فَجَعَلَ وُصُولُهُمُ النَّصْرَ مُحَقَّقًا لِلْجَيْشَيْنِ المُتَحالِفَيْنِ .

فَٱسْتَسْلَمَ نابوليونُ ، وقَضَى بَقِيَّةَ حَياتِهِ في جَزِيرَةِ القِدِّيسَةِ هيلانَةَ المُوحِشَةِ في جَنُوبِ المُحيطِ الأَطْلَسِيِّ ، بَعِيدًا عَنْ فَرَنْسا ، بِحِراسَةِ جُنُودٍ إِنْكليز ، وسُفُنٍ إِنْكليزِيَّةٍ تَطُوفُ حَوْلَ الجَزِيرَةِ لِحِراسَتِها . كانَتِ الحِراسَةُ شَديدَةً ومُسْتَمِرَّةً ، فعَظَمَةُ نابوليونَ وخُطُورَتُهُ جَعَلَتْ حُرِّيَّتَهُ خَطَرًا مُسَلَّطًا حَرِصَ أَعْداؤُهُ عَلَى تَلافِيهِ .



حَمَلاتُ نابوليون في أوروبّا ومِصْرَ

السّلسلة التّاريخيّة

(١) جان دارك

(٢) ماركوبولو

(٣) الكابتن سكوت

(٤) نابوليونْ

(٥) كليوباترا ومِصْرُ القَديمةُ

(٦) تشارلز ديكنز

(٧) كريستوفر كولمْبسْ

(٨) الإِسْكَنْدَرُ الأَكْبَرُ

(٩) الحَضاراتُ الكُبْرى : مصر

Series 561 / Arabic
